المقدمة

الحمد لله الذى هدانا للإيمان ، ومنَّ علينا بالفضل والإحسان ، وشرفنا بالعبودية له ، ووفقنا لطاعته وعبادته ، ووعد المتمسكين بمنهجه ، والملتزمين بشريعته ، والمطبّقين لأحكامه ، بعظيم فضله وثوابه ، والعاصين المخالفين بغضبه وانتقامه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خاتم النبيين والمرسلين ، وأشرف المخلوقين، وإمام المتقين ، وقدوة المتعبدين ، وشفيعنا بإذن من الله يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وخيرالداعين إلى الله عزوجل وإلى جنات النعيم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى سائرإخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آل كل وصحبه أجمعين ، ورضى الله عن الصحابة الكرام البررة ، الذين تنافسوا فى الطاعات والعبادات ، وصدقوا ماعاهدوا الله عليه ، والتابعين وسائر الصالحين إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن الله ﷻ قد خلق الثقلان ـ الجن والإنس ـ لغاية جليلة ، وحكمة عظيمة ، ووظيفة سامية ، وهى عبادته وحده لاشريك له .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦ ـ ٥٨] ، أى : ماخلقتهم ، وما أوجدتهم بعد العدم إلالهذه الحكمة العظيمة ، وهي : إفراده ﷻ بالعبادة [١] .

---

(١) واللام في قوله : ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ للتعليل ، لكن هذا التعليل تعليل شرعي ، أي : لأجل أن يعبدون ، حيث آمرهم فيمتثلوا أمري ، وليست اللام هنا تعليلًا قدريًا ؛ لأنه لوكان تعليلًاقدريًا للزم أن يعبده جميع الجن والإنس ، لكن اللام هنا لبيان الحكمة الشرعية في خلق الجن والإنس.
انظر : (تفسير القرآن : للعثيمين ـ الذاريات) .

وقد جعل الله ﷻ الدار الدنيا دارتكليف وعمل ، وجعل الدار الآخرة دارفضل وجزاء.

وعند رجوع الخلائق إلى الله ﷻ ، واتجاههم إلى موقف الحساب والجزاء،في ذلك اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، يختم الله عزوجل على الأفواه ، وتشهد الجوارح والأعضاء ، من السمع والبصروالأيدى والأرجل والألسنة والجلود ، بما كانوا يعملون فى الدنيا ، وتخبر الأرض بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله ، وتعرض الصحف والأعمال ، ويجد كل مكلف ـ المحسن والمسيء ، والمطيع والعاصي ، والموافق والمخالف ـ ما قام به من عمل فى صحيفة لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وأثبتته ، ليثاب ويجازى عليه إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

وكما كان الناس فى الدنيا فريقين ، فريق امتثل لأوامر الله ﷻ ، وأطاعه فى كل ما أمربه ، وفريق أعرض عن الطاعة والامتثال ، فإنهم كذلك فى الآخرة فريقان ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

فمن كان منهم قد عمّردنياه بطاعة الله ﷻ وعبادته ، وعمل فيها عملًا صالحًا ، رأى ثماره الطيبة ، حتى ولوكان هذا العمل فى نهاية القلة ، وفاز بدار النعيم والسرور ، دارالكرامة والرضوان، دار التشريف والتكريم ، دارالخلود والبقاء ، تلك الدار التى لايفنى نعيمها ، ولايموت أهلها ، لايبلى ثيابهم ، ولايفنى شبابهم ، بل هم فى نعيم دائم ، وسعادة دائمة ، ولهم فيها مايشتهون ، ولهم فيها مايدعون : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٢] ، ولهم فيها لقاء مع الله ﷻ كما يشاء ، ورؤية وجهه الكريم جل وعلا ، ينادون بأمر الله تعالى : ﴿ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[الأعراف:٤٣]

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ، وَأَبِى هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « يُنَادِى مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَتَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْتَئِسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ومن كان منهم قد خالف وعصى في هذه الدار ، وابتعد عن عبادة الله ﷻ وطاعته ، وتابع الهوى والشيطان ، وعمل عملًا سيئا فى دنياه ، رأى ثماره السيئة ، حتى ولوكان هذا العمل ـ أيضًا ـ فى أدنى درجات القلة ، وكان مصيره إلى دار الهوان والخسران ، التي يتعرض أهلها للشقاء الدائم ، و العذاب الأليم.

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه:٧٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر:٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد:١٥] .

والمقصود : أن هذه الدار هي دار العبادة والطاعة ، ودار العمل ، والتقرب إلى الله ﷻ بما يرضيه ، ودار مجاهدة النفس ، ومحاسبتها ، ودار التفقه والتبصر في الدين ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه .

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في دوام نعيم أهل الجنة ٤/ ٢١٨٢ (٢٨٣٧) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى.دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

فمن العقل والحكمة ألَّا يتعلق بها قلب مسلم ، وألَّا يغتر بملذاتها ، ولا ينهزم أمام شهواتها. وأن يدرك أن الدار الدنيا ما هى إلا وسيلة ومعبر للآخرة ، وأنها مهما حلت وتزيّنت فهى إلى فناء وزوال ، والآخرة هى المقصد ، وأنها خير وأبقى .

وأن يتذكر دائما قول الله ﷻ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧، ٨] .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

وبهذا فعليك أيها المسلم المنصف ، الكيس الفطن ، أن تلتزم بما أمرت به من فرائض وطاعات ، وأن تجتنب مانهيت عنه من معاصي ، وأن تأخذ نفسك بالجدّ ، وأن تعوّدها الهمة والاجتهاد في طاعة الله ﷻ وعبادته .

وأن تحرص على أن تكون من أهل الحق المهتدين ، المؤمنين المصلحين، التائبين النادمين ، المحسنين أهل الحسنات ، الذين عاشوا حياتهم لله ﷻ .

واحذر أن تكون من أهل الباطل الضالين ، الكفار المفسدين ، المصرّين على المعاصى والذنوب ، المسيئين أهل السيئات ، أولئك الذين عميت بصيرتهم عن النور ، وتخبطوا في الظلام ، ففرطوا فى جنب الله ﷻ ، وغفلواعن عبادته وذكره وطاعته ، وعاشوا حياتهم فى لهو ولعب ، وأكبّوا على الشهوات ، وأسرفوا فى الملذات ، وانقادوا وراء الغرائز ، فكانوا من الهالكين .

ومن فضل الله ﷻ ورحمته بالمؤمنين ، أن وسع لهم فى دائرة الأعمال الصالحة ويسرها لهم ، بحيث يتاح للقوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والكبيروالصغير ، والرجل والمرأة ، والفتى والفتاة ، والمثقف والعامى ، أن يفعل من الصالحات ما يدّخره لنفسه فى رصيد حسناته ، وما يتزود به ليوم الحساب .

وفى زحمة الحياة الدنيا المليئة بالمغريات والملهيات ، والصراعات النفسية والمادية ، والمعاناة اليومية التي لا تنتهي ، وما يتعرض له الإنسان للعديد من الشهوات والملذات ، التى من شأنها أن تصرف الناس وتشغلهم عن هذه الغاية التى خلق الله ﷻ الجن والإنس لها ، وبعث جميع الرسل يدعون إليها ، وهى عبوديتهم لله ﷻ وحده لاشريك له ، فى ظل ذلك كله يكون الإنسان بحاجة إلى من يذكّره بالله ﷻ ، ويذكّره بالغاية التى خلقه الله عزوجل من أجلها ، فى حاجة إلى من ينبّهه ، ويرشده ، ويأخذ بيده إلى طريق العبادة والطاعة لله رب العالمين .

ولذا قال الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] ، يعنى ذكّر الناس بالله ﷻ وشرائعه ، وفرائضه وآياته ، وثوابه وعقابه. فمن الناس من ينتفع ، ومنهم لا ينتفع ، والذي ينتفع هو المؤمن ، فإن الرغبة والرهبة تنفع المؤمنين ، والتذكير والموعظة لاينتفع بهما إلا أهل القلوب المؤمنة.

قال الإمام القشيرى : قوله جلّ ذكره : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] ، ذَكِّر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفةِ أمري ، وذَكِّر المطيعين جزيلَ ثوابي ليزدادوا طاعةً وعبادةً ، وذَكِّرْ العارفين ما صرَفْتُ عنهم من بلائي ، وذكِّرْ الأغنياءَ ما أَتَحْتُ لهم من إحساني وعطائي ، وذَكِّر الفقراء ما أوجبْتُ لهم من صَرْفِ الدنيا عنهم وأَعْدَدْتُ لهم من لقائي[(١)] . ا.هـ .

وقد أطلق الله عزوجل الذكرى فقال : ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ ولم يقل : وذكّر المؤمنين، لكن بين أن الذي ينتفع بالذكرى هم المؤمنون فقال : ﴿ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأن المؤمن إذا ذكّر فهو كما وصفه الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان:٧٣] بل يقبلونها بكل رحابة صدر وبكل طمأنينة .

(١) انظر : تفسير القشيرى .

وفي الآية الدليل على وجوب التذكيرعلى كل حال ، وفيها أن الذي ينتفع بالذكرى هم المؤمنون ، وأن من لاينتفع بالذكر فهو ليس بمؤمن : إما فاقد الإيمان ، وإما ناقص الإيمان ، وهنا فتش عن نفسك هل أنت إذا ذكّرت بآيات الله ، وخوّفت من الله عزوجل ، هل أنت تتذكر أم يبقى قلبك كما هو قاسيًا؟ ، إن كانت الأولى فاحمد الله ﷻ فإنك من المؤمنين ، وإن كانت الثانية فحاسب نفسك ، ولا تلومن إلا نفسك ، وعليك أن ترجع إلى الله ﷻ ، حتى تنتفع بالذكرى .

وفي الآية دليل على أنه كلما كان الإيمان أقوى كان الانتفاع بالذكرى أعظم وأشد ، وذلك من قاعدة معروفة عند العلماء ، وهي : أن الحكم إذاعلق بوصف ازداد بزيادته ونقص بنقصانه [١] . ا.هـ .

والتذكير ـ كما قال الإمام السعدى ~ ـ نوعان : تذكير بما لم يعرف تفصيله ، مما عرف مجمله بالفطر والعقول ، فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره ، وكراهة الشر والزهد فيه ، وشرعه موافق لذلك ، فكل أمر ونهي من الشرع ، فإنه من التذكير ، وتمام التذكير ، أن يذكر ما في المأمور به ، من الخير والحسن والمصالح ، وما في المنهي عنه ، من المضار .

والنوع الثاني من التذكير : تذكير بما هو معلوم للمؤمنين ، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول ، فيذكّرون بذلك ، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم ، وينتبهوا ويعملوا بما تذكّروه من ذلك ، وليحدث لهم نشاطًا وهمة ، توجب لهم الانتفاع والارتفاع .

وأخبرالله ﷻ أن الذكرى تنفع المؤمنين ، لأن مامعهم من الإيمان والخشية والإنابة ، واتباع رضوان الله ، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى ، وتقع الموعظة

(١) انظر : تفسير العثيمين .

منهم موقعها كما قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ [الأعلى:٩ ـ ١١] .

وأما من ليس معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير ، فهذا لا ينفع تذكيره ، بمنزلة الأرض السبخة ، التي لايفيدها المطر شيئًا ، وهؤلاء الصنف ، لوجاءتهم كل آية ، لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .ا.هـ [(١)] .

ومن ثم فشأن أهل الإيمان الذين يدركون بحق ربهم عليهم ، وذوي الألباب والأفهام ، الذين لهم عقول وقلوب مدركة ، أنهم إذا ذكّروا بالحق تذكّروه ، وإذا نبّهوا انتبهوا ، وإذا وعظوا اتّعظوا ، بخلاف غيرهم من الجاحدين ، والذين لا يعقلون ، فإنهم لايدركون الحق ، ولاينتفعون بالتذكير ، ولايتأثرون بالعظة.

ومن منطلق النصح والتذكير ، والتواصي بالحق ، ورغبة فى ثواب الله ﷻ ورحمته ، أقبلت مستعينا بالله ﷻ على جمع هذه الأحاديث ، رجاء أن تكون تذكرة لى وعامة المؤمنين ، واجتهدت فى اختيار مانص على الثواب المترتب على العمل، دون غيرها مما يحث أو يرغّب فى العمل، أو يشير إلى فضله ، من غير بيان للثواب ، وذلك لأمرين :

أحدهما : سهولة الوقوف على الأحاديث الموضحة لثواب العمل بما يدفع إلى فعله وتطبيقه.

والثانى : خشية الإطالة التى تخرج عن المضمون.

وقد قسمتها حسب الموضوعات ، فماكان منها متعلقا بالعقيدة جعلته فى موضع

(١) انظر : تفسير السعدى المسمى : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١/ ٨١٢ تحقيق عبد الرحمن بن معلا ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

واحد ، وما كان منها متعلقا بالعبادات جعلته فى موضع واحد ، وماكان منها متعلقا بجزئية تتعلق بعبادة من العبادات جعلته فى موضع واحد، وهكذا فى الأخلاق ، والمعاملات ، وغيرها مما ورد ذكره.

وقد اعتمدت فى جمعها على الصحيحين « البخارى ، ومسلم » . والسنن الأربعة « سنن أبى داود ، وسنن الترمذى ، وسنن النسائى ، وسنن ابن ماجه » ، ومسند الإمام أحمد ، والمستدرك للحاكم ، والمعجم الكبير ، والمعجم الأوسط للطبرانى ، وغير ذلك من كتب السنة .

وقد ذكرت الحديث بإسناده اقتداء بفعل المحدثين رحمهم الله تعالى ، وحرصت على تخريج الأحاديث والحكم عليها ـ من حيث الصحة والضعف ـ من مصادرها المعتمدة من كتب السنة النبوية.

ومابين يدى القارئ الكريم من أحاديث ـ والتى زادت على الألف حديث ـ أقدمها من باب التعاون على البروالتقوى ، لتكون مرشدا ومعينا لذوى القلوب المتصلة بالله ﷻ ، والعقول المفكرة فى مصيرها ، وموقفها بين يدى الله ﷻ ، وكيفية تثقيل موازينها ، والنفوس الطائعة الوجلة الخائفة الراجية رحمة الله ﷻ . ومذكّرا لمن شرح الله ﷻ صدره لسماع الحق ، وقبول النصيحة والكلمة الطيبة .

فاختر ما تستطيعه من هذه الأعمال ، واستشعر عظم الأجر والثواب ، وتذكّر حاجتنا يوم الحساب إلى حسنة واحدة ربما تكون هى المنقذ من النار ، فلا تستصغر ولا تستقل عملا ، ولا تستثقل ولاتستصعب عملا ، فالأمر فى منتهى اليسر والسهولة ، وماعليك إلا أن تعوّد نفسك على الطاعات والأعمال الصالحة ، وفعل ماينفعك فى دينك ودنياك ، وما يدخر لك فى رصيد حسناتك.

وأن تشغلها دائما بالخيرعن كل مايشغلك عن الله ﷻ ، فإن النفس إن لم تشغلها

بالحق والخيروالطاعة شغلتك بالباطل والشر والمعصية !

ونفسك إن لم تشغلها شغلتك ، إن لم تشغلها بما ينفعك شغلتك بما يضرك ، والقلب إذا لم يعمل الحسنة استعمل فى عمل السيئة ، وللشيطان نَفس طويل في إغواء العبد وإغرائه ، وجرّه إلى الذنوب والمعاصى .

فلا تدع لنفسك فرصة تنشغل عن الله ﷻ ، أو وقت فراغ تستغله فيما يغضب الله ﷻ ، وقارن بين لذة الجسم والبدن ولذة النفس والروح ، وبين اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ، وبين لذة يترتب عليها معصية ، واللذة الدائمة المترتبة على الطاعة والعمل الصالح ، فاللذة الدنيوية يعقبها ندم وحسرة ، وتفوّت على من حرص عليها خيرا كثيرا فى الدنيا والآخرة ، ويفقد بها محبة الله ﷻ وثوابه ، ويستحق بها غضبه وعقابه .

وتسائل مع نفسك : كم من الوقت يضيع أمام التلفاز ، وفى الطرقات ، وفى أماكن اللهو ، وفى التفكير والتخيلات المثيرة للغرائز والشهوات ؟!

ألا أستطيع أن أدبّر من الوقت يوميا ما أقرأ فيه سورة من القرآن الكريم ؟! ومن قرأحرفا فله عشرحسنات ، والحسنة بعشر أمثالها.

ألا أستطيع أن أسبّح الله عزوجل فى اليوم مائة مرة حتى أفوز بألف حسنة، أويحط عنى ألف خطيئة بمشيئة الله تعالى؟! [١] .

ألا أستطيع أن أستغفر الله ﷻ فى كل وقت حتى يغفر لى وأفوز بالمنزلة العالية؟!.

ألا أستطيع أن أقول : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَاحِدًا أَحَدًا ، صَمَدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ؟! فمن قالها : « **كُتِبَتْ لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ**

(١) الحديث فى ذلك سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

حَسَنَةٍ »[١] .

وهكذا بإمكانك أن تحصّل فى دقائق معدودات ، آلاف بل ملايين الحسنات .

فما بالك بما يمكن أن تخرج به فى يومك من حسنات ، ومايمكن أن يدّخر لرصيدك فى صحيفة أعمالك ، لو أنك اغتنمت كل وقتك فى طاعة الله عزوجل وعبادته.

فاستثمر وقتك فى الأعمال الصالحة ، واعلم أن المضيّع لوقته مضيّع لحياته كلها ، وأنه مامن يوم تشرق فيه الشمس إلا وينادي : أنا يوم جديد ، وعلى عملك شهيد ، فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم الوعيد .

وفي الحديث الشريف عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ** »[٢] .

وفى رواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **لاَ تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ ؟** »[٣] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ { قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَيَعِظُهُ: « **اغْتَنِمْ خَمْسًا**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند٤/ ١٠٣ المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(٢) أخرجه الترمذى ، أبواب صفة القيامة ، باب فى القيامة ٩/ ٢٥٣(بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » ا.هـ. الناشر : دار الكتاب العربى. بيروت.

(٣) أخرجه الترمذى ، فى الموضع السابق (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه » ا.هـ .

قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ » (١) .

وتذكّر دائما سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم الذين حرصوا على استغلال أوقاتهم ، وعدم تضييعها ، فاستحقوا المنزلة العالية .

روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه كان يقول : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

وقال علي ﷺ: ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل (٢) .

وكان الحسن يقول في موعظة : المبادرة المبادرة ، فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عزوجل ، رحم الله امرءا نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم:٨٤] يعني الأنفاس ، آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد فراق أهلك ، آخر العدد دخولك في قبرك (٣) .

وقال الحسن : يتوسد المؤمن ما قدم من عمله فى قبره إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فاغتنموا المبادرة رحمكم الله فى المهلة (٤) .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٣٤١ وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ا.هـ .ووافقه الذهبى . الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب فى الأمل وطوله ٨ / ١١٠ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالى ٤ / ٤٤٤ ، دار إحياء الكتب العربية .

(٤) انظر : اقتضاء العلم العمل ، للخطيبي البغدادى صـ ٩٧ ، الناشر المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٧ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى .

وقال : أدركت أقوامًا كانواعلى أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم .

وقال الإمام الشافعي ~ : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل [١] .

وقال ابن السماك : إن الموتى لم يبكوا من الموت ، ولكنهم يبكون من حسرة الفوات ، فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ، ودخلوا دارًا لم يتزودوا لها [٢] .

وفي الحكم العطائية : إذا علمت أن الشيطأَلَّا يغفل عنك ، فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده [٣] .

وقال رجل للحسين بن منصور أوصني قال : عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك عن الحق . وفى رواية : عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك [٤] .

وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه : ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر ، ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر، حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يراني [٥] .

وقيل فى بعض المواعظ : عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصى ، وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل ؟!

وقيل : اعملوا لآخرتكم فى هذه الأيام التى تسير كأنها تطير .

وقيل : الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أجمل أفعالكم [٦] .

---

(١) انظر: مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ٢/ ١٢٩ ، الناشر : دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ – ١٩٧٣ ، تحقيق محمد حامد الفقى .

(٢) انظر : الأربعين النووية .

(٣) انظر : الحكم العطائية .

(٤) انظر : تاريخ بغداد .

(٥) انظر : إحياء علوم الدين ٤ / ٤٤٤ .

(٦) انظر : أدب الدنيا والدين لأبى الحسن البصرى صـ ١٣٨ وما بعدها ، دار أولى الألباب ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

وقال الفضيل بن عياض لرجل : كم أتت عليك ؟ قال : ستون سنة ، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ ، فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال الفضيل : أتعرف تفسيره، تقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فمن عرف أنه لله عبد ، وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف،ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعدّ للسؤال جوابا ، فقال الرجل : فما الحيلة ؟ قال : يسيرة ، قال : ما هي؟ قال : تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضي ، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضي وما بقي [١] .

وقال بعض السلف : إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما [٢] .

ولقد أَحْسَنَ القَائِلُ :

إنَّ لله عِبَـــادًا فُطَنَـــا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وخَافُوا الفِتَنَا
نَظَـــروا فيهَـــا فَلَمَّا عَلِمُـــوا ... وا أَنَّهَـا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَـــا لُجَّـــةً واتَّخَـــذُوا ... صَـالِحَ الأَعْـمالِ فيهـا سُـفُنا

وقد أورد بعض المفسرين عند قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا اركبني اليوم وتلا : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ويركبه ويتخطى به شدائد القيامة.وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتن ريح فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد قبح صورتك وأنتن ريحك فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عملك

(١) انظر : جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي صـ ٣٣٤ ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .
(٢) انظر : أدب الدنيا والدين صـ ١٣٩ .

السيئ طالما ركبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلا : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنعام:٣١] (١) .

واحرص أن تكون من أهل الجنة ، واحذرأن تكون من أهل النار ، وأنصحك ونفسي ألَّا نترك بابا من أبواب الخير إلا ونأتيه ، ولا نترك عملا من الأعمال الصالحة إلا ونفعل منه ما استطعنا. حتى نسجل عند الله عزوجل من أهله .

ولنكن على يقين بأن كل إنسان يحصد ما يزرع ، ويجزى بما يصنع ، فلنعش حياتنا لله عزوجل،ولندرك أن الدنيا ساعة فلنجعلها لله ﷻ طاعة ، وأرجو من كل من يطلع على هذا الكتاب ، أويعمل بما فيه ، أوبشيء مما فيه، أن يدعو لى بظهرالغيب ، بأحب مايرجوه لنفسه ، وأدعوا الله ﷻ أن يقبل منه ما يدعو به لى وله ، إنه سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب الدعاء ، وهوعلى كل شيء قدير .

وأرجو من الله ﷻ أن أحظى بثواب ماأخبر به النبى ﷺ فى قوله : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » (٢) .

وقوله ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا .. » (٣) .

وأن تكون حياتناكلها على نحو قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى ١١ / ١٥١ ، مكتبة الغزالى دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ٣/ ١٥٠٦(١٨٩٣) .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/ ٢٠٦٠(٢٦٧٤) .

وختامًا أسأل الله العلي العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يستر عيبى ، وأن يغفر ذنبى ، ولايؤاخذنى بزلتى ، وأن يوفقنى دائما لحسن العمل ، وأن يتقبل منى هذا العمل ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينتفع به عامة المسلمين ، وأن يشرح قلوبهم للعمل بما فيه ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة ، وأن يسكننى الفردوس الأعلى فى زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

كما أسأله عزوجل أن يكتب الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن ساهم في طبعه أو نشره وتوزيعه بين المسلمين ، وقد أذنت لكل من أراد الطبع أو التوزيع مبتغيًا في ذلك وجه الله تعالى ، مع التذكيروالرجاء بخالص الدعاء لى ولوالدى وأهلى وذريتى وسائر المسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جمعه العبد الفقيرلرحمة ربه أرحم الراحمين

غفر الله له ولوالديه ومشايخه وأهله وذريته

وجميع المسلمين والمسلمات